



## إثيوبيا الجديدة بعد حرب تيغراي

والديمقراطية، وتعيد إلى الأذهان شبح ماضٍ أليم، عندما كان الجنرالات يتحكمون وحدهم في الحل والعقد. جمع أبي أحمد بين الأدوات المدنية والعسكرية، ومنح فرصة لأولئك فلم تحقق أغراضه، وخلق رداءها وتدثر بالبرزة العسكرية أملا في الوصول إليها، ما يعني أن المنطقة أمام نموذج من القيادات يلجأ إلى الإصلاحات كسلاح لتحرير أجنده، وإذا فشلت فنقلب عليها ويسلك مسار الدكتاتوريات العريقة. ويملك مسار القيادات الذي يعيد أمجاد أسلاف حكوماء بالحديد والنار، وبات العالم أمام إثيوبيا مختلفة، فإما أن يقبل بها كما هي أو يفكر في وسيلة بديلة للتعامل معها.

سوف يجعل الطريق الصعب الذي تمضي فيه الدولة الإثيوبية العالم أمام رجل شرق أفريقيا المريض، بعد أن كانت هناك تحركات تسعى لتحويلها إلى نموذج واعد يجمع بين الحرية السياسية والرسالة الاقتصادية والاندماج الوطني الاجتماعي.

أزمة سد النهضة في تقديمه كزعيم قومي للشعب الإثيوبية. وادى إصرار مصر والسودان على التمسك بمنهج المفاوضات ورفض الحياد عنه إلى تقوية الفرصة لتلو الأخرى عليه، وعندما المبح إلى عدم استبعاد استهداف السد عسكريا لم يقدم دليلا واحدا على دعيته.

بدا في نظر بعض الجهات قليل الخبرة السياسية، لأن إدارته لملف سد النهضة مع كل ما حملته من غطسة لم تكن كافية لتعكس صورة شخصية قوية، وتحول فوزه بجائزة نوبل للسلام إلى قيد عليه، حجج تصرفاته المتعلقة بإدارة ملف المياه، واضطر أحيانا لينحني للرياح السياسية ويتبع عن التصعيد ويعود إلى طاولة المفاوضات.

بحث رئيس الحكومة الإثيوبية عن نصر بلا حرب مع مصر فلم يتمكن من تحقيق هدفه، فقرر أن يحصد النصر عن طريق الحرب مباشرة، ففعل بها مع تيغراي، لأنها تعني تثبيت أركان سلطته، وتحمو الصورة الذهنية التي انطبعت عنه كرجل سلام وكفى، في منطقة حافلة بالعواصف العاتية، سياسيا وأمنيا.

وقدم نمطا للقيادات الإثيوبية التقليدية التي تلجأ إلى القوة الغاشمة لفرض سلطتها، بعد أن فشل في تسويق نمطه الخاص القائم على إخضاع الشعوب بالليونة، فعلى مدار أكثر من عامين تعثرت خطواته، وأوشكت إخفاقاته على الصعيد الداخلي أن تنهي مسيرته.

**رئيس الحكومة الإثيوبية بحث عن نصر بلا حرب مع مصر فلم يتمكن من تحقيق هدفه، فقرر أن يحصد النصر عن طريق الحرب ففعل بها مع تيغراي لأنها تعني تثبيت أركان سلطته**

لن تعني السيطرة على العاصمة مقلي وإخضاع إقليم تيغراي أن المعركة حسمت لصالحه، أو من حقه رفع راية النصر عالية، ففوز القوات النظامية عملية معقدة، حيث تحول الأمر إلى معارك استنزاف طويلة، تلعب فيها الميليشيات والكتائب المسلحة دورا رئيسا، فهناك نحو ربع مليون شخص في تيغراي لديهم خبرات قتالية كبيرة. دخلت إثيوبيا بؤرة الحروب الأهلية من بابها الواسع، لأن شرارة تيغراي يمكن أن تمتد إلى أقاليم أخرى، ما ينعكس سلبا على الطموحات التي صاحبت صعود أبي أحمد، وهذه المعركة كفيلا، حال استمرارها لبعض الوقت، أن تغير من أولويات الحكومة المركزية، فبدلا من الاهتمام بالتنمية يجري التركيز على الحروب وطوقسها.

اختصرت طريقة التعامل مع أزمة تيغراي الكثير من الأسئلة الدقيقة حول مصير الدول ذات العرقيات المتعددة، وحصرت الإجابة في أولوية المنهج العسكري دون سواه، وتم تصوير الموقف على أنه تمرد على سلطة الدولة وليس تمردا على سوء الاستغلال السياسي من جانب فئة حاكمة.

تقود النتيجة التي سوف تحصلها إلى إعادة إنتاج طبقة من الحكام في أفريقيا، كادت تنسأهم القارة بعد أن دخل عدد من دولها حزام التعددية

**محمد أبو الفاضل**  
كاتب مصري

سواء أحكمت الحكومة المركزية قبضتها تماما على مقلي عاصمة تيغراي أم لا، ففي الحالين سوف تظهر إثيوبيا جديدة، فالانتصار في الحركة الجارية لا يعني انتهاء الحرب، لأن هناك صعوبة في اقتلاع الجبهة الشعبية لتحرير تيغراي من جذورها بعد سنوات طويلة من التضرس السياسي والاجتماعي والأمني في الإقليم. يعني تمكن أبي أحمد رئيس الحكومة من فرض سيطرته العسكرية وإخضاع الإقليم لسلطته وتطبيق رؤيته في محاسبة قياداته، أنه لم يعد يميل إلى الأساليب الدبلوماسية، حيث قدمت هذه الحرب وجهها خشنا لم يكن معروفا عنه من قبل، ومن لمساو خشونته سلفا حاولوا تفهم دواعيها، واعتبروها مؤقتة وواجبة.

يشير هذا الوجه إلى تحلٍ فاضح عن الوعود السابقة بشأن الإصلاحات السياسية وتوسيع نطاق الحريات وحقوق الإنسان والانتقال حول المشروعات التنموية، وهي المفردات التي عززت صعوده مبكرا إلى رئاسة الحكومة.

كما يشير إلى أن المنطقة أمام قيادة تعيد ذكريات القبضة الحديدية التي عاشتها إثيوبيا لفترة طويلة، في عهد منفسسو هيليا مريام، ثم ملس زيناوي، ورسمت للبلاد صورة قائمة، خرجت منها قليلا على يد أبي أحمد ووعوده البراقة.

أدت الحرب إلى طي صفحة الحديث عن انتخابات عامة أو على الأقل وفرت الأجزاء المناسبة لمزيد من التاجيل، وهي الصفحة التي مثلت الشرارة لاحتدام التظاهرات والاحتجاجات، ثم فجرت الخلاف مع تيغراي عندما تصرف الإقليم بصورة أحادية، وأجرى انتخابات في سبتمبر الماضي دون التنسيق مع المركز، وهو ما استفز أبي أحمد، ووجد هيئته السياسية في مهب الريح.

أختارت الحكومة الإثيوبية أصعب الطرق في التعاطف مع تيغراي، وسلكت أسهلها في البداية، وأصعبها في النهاية، وهو الطريق العسكري الوعر، ولم تمنح فرصة كاملة للحوار والمرونة أو الوساطة وتقريب المسافات، وكان هذا التوجه مقصود بذاته، لأن تقليص أظافر تيغراي، بل تقطيع أصابعه، يحمل مجموعة من الرسائل القوية للأقاليم الأخرى إذا راودها تفكير في التمرد على الحكومة. قطع رئيس الوزراء على مدار عامين جزءا كبيرا من أزرع تيغراي الممتدة في الجيش والاقتصاد وأجهزة الدولة، والتي مكنت الإقليم من التحكم في كثير من مفاصل الحياة، ولم يبق له سوى كسر كبرياء قاداته في عقر دارهم، ولن يتسنى له ذلك إلا من خلال معركة شرسة كفيلا برده كل من تتسول له نفسه الخروج عن سلطته.

راهن أبي أحمد على كثافة المراتم الداخلية والخارجية مع تيغراي لكسب التعاطف معه، وأصبح على وشك الفوز بالرهان، وهي رسالة توحي أن الفضاء الإقليمي يقف معه، فالتطويق الصارم الذي فرضه، والصمت عليه من قبل جهات متباينة أوحى بأنه استعد جيدا لمواجهة تيغراي وإخضاع الإقليم بكل التصورات والممارسات.

تتجاوز المعركة حدود الكرامة أو تصفية الحسابات المعروفة بين الجماعات العرقية، وتؤكد أن أبي أحمد كان يبحث عن فرصة يكسر فيها عن أنيابه، فلم تفلح مزایداته وتعنته في

## الأمطار تتحدث عن فشل حكومة بغداد

لا ننكر أن مثل هذه الأمطار سقطت على بغداد، في الماضي، وأغرقتها، ولكن سرعان ما كانت الحالة تعالج وينتهي كل شيء، إذ كانت الدوائر المختصة تستبق الشتاء بفحص مجاري المياه ومعالجة ما يحتاج إلى المعالجة منها، مع حلول، تجهز مسبقا، لبعض الحالات الطارئة، وكان المسؤولون الكبار يعدون أنفسهم مسؤولين عن كل خلل يصيب أداء الدولة ويتدخلون لعلاجها، بل إن حكومات عراقية استقالت لعجزها عن إيجاد الحلول لغرق العاصمة.

وفي منتصف ستينات القرن الماضي، غرقت بغداد وعولجت الحالة في معظم المناطق إلا في مدينة الحرة، شمال غربي بغداد، إذ لم تكن فيها مجار لتصريف المياه، فخرج المرجوم طاهر يحيى، وكان رئيسا للوزراء، يوما، خائضا في المياه ليزور المناطق المتضررة ويامر بعلاجات لتخفيف المشكلة عن المواطنين.

لا ننكر أن مثل هذه الأمطار سقطت على بغداد، في الماضي، وأغرقتها، ولكن سرعان ما كانت الحالة تعالج وينتهي كل شيء، إذ كانت الدوائر المختصة تستبق الشتاء بفحص مجاري المياه ومعالجة ما يحتاج إلى المعالجة منها، مع حلول، تجهز مسبقا، لبعض الحالات الطارئة، وكان المسؤولون الكبار يعدون أنفسهم مسؤولين عن كل خلل يصيب أداء الدولة ويتدخلون لعلاجها، بل إن حكومات عراقية استقالت لعجزها عن إيجاد الحلول لغرق العاصمة.

وفي منتصف ستينات القرن الماضي، غرقت بغداد وعولجت الحالة في معظم المناطق إلا في مدينة الحرة، شمال غربي بغداد، إذ لم تكن فيها مجار لتصريف المياه، فخرج المرجوم طاهر يحيى، وكان رئيسا للوزراء، يوما، خائضا في المياه ليزور المناطق المتضررة ويامر بعلاجات لتخفيف المشكلة عن المواطنين.

**د. باهرة الشبيخ**  
كاتبة عراقية

هذه المرة، لم يتحدث العراقيون ولا سواهم عن فساد الحكومة العراقية وفشلها، وإنما تحدثت الأمطار بسبب جارة اقتحمت الجامعات والمدارس والمستشفيات والمصانع والبيوت وأغرقت الشوارع وأتلفت الأثاث وخربت الأجهزة الكهربائية.

وأظهرت فيديووات، تداولتها مواقع التواصل الاجتماعي على نطاق واسع، غرق مدخل مستشفى البرموك وعدم استطاعة المرضى الدخول إليه.

العراقيون يساورهم القلق، الآن، مع سماعهم أنباء توقعات أن يكون شتاء هذا العام بأمطار وسيول لا إمانية لصدا ما تحدثه من غرق وخراب، فإذا كانت أول زخات من المطر أغرقت مدنهم واقتحمت عليهم بيوتهم وفعلت ما فعلت، خلال ساعة واحدة، فماذا ستفعل أمطار الشتاء المقبل؟

الواقع، أن كارثة الصرف الصحي، التي حولت بعض أحياء العاصمة إلى غدران وانهار كانت واحدة من مظاهر الفساد، التي ناعت بها وباحمالها أرض الرافدين، ومن خالها استعداد العراقيون خرافة "صخرة" أمين بغداد الأسبق يعقوب الكعبي، الذي حاول إهانة المواطن العراقي والاستخفاف ببعقله، يوم ابتدع الصخرة إياها، التي تسببت في انسداد مجاري الصرف الصحي، فأغلقت الطرقات وأغرقت البيوت وملأت الشوارع بالمياه.

اتضح، في ما بعد، أن يعقوب ليس سوى سمسار صغير صدى في عربة الفساد الحكومية، منذ أول تاريخ الاحتلال، وحتى الفيضان الأخير، الذي أغرق الكثير من أحياء بغداد المدينة، التي عاث فيها مستوطنو المستوطنة الخضراء الحكام نهباً وفساداً.

واتضح أيضا أن الحكومات الست العراقية في أثلها أهملت معالجة الصرف الصحي، كما أهملت العراق كله، بل هي سبب الأسباب لكل الرزايا، التي ألحقت بهذا البلد المنكوب، وأس البلاء لجميع الكوادر، التي حاقت به. كتب صحافي عراقي، متمكنا، على صخرة يعقوب، أيام غرقت بغداد على عهده، في نوفمبر سنة 2013 "تحن قوم لا تحترم آثارنا وفعلا بها أشد فثقا من فعل العو ولهذا نجد أن العراق الذي أنشأ أولى الحضارات على الأرض لا يمتلك من آثاره إلا القليل، في حين تمتلك حضارات أحدث من حضارته آثارا تملأ عشرات من المتاحف، وخذوا مثلا على عدم احترامنا لآثارنا، هذه الأيام غرقت بغداد بمياه الأمطار الفيضانية، وتبين أن سبب غرق هذه العاصمة العظيمة صخرة وزنها 150 كيلوغراما، سماها العراقيون سخرية وتندرا 'صخرة يعقوب' نسبة إلى مكتشفها أمين بغداد الحالي نعيم يعقوب الكعبي، الذي أعلن أن الأمانة فتتت الصخرة التي أغرقت بغداد واطاحت أمينها السابق عبدالحسين المرشدي، وبهذا أضعا أثرا مهما وأضعا معها جهود مكتشفها نعيم يعقوب... فبقا لثقلنا.. ترى ألم تكن هذه الصخرة تستحق أن تخرج وتوضع في المتحف البغدادي لتذكر العراقيين بما أغرق عاصمتهم في حادثة هي الأولى في تاريخ البشرية".

**صخرة يعقوب ليست سوى سمسار صغير صدى في عربة الفساد الحكومية منذ أول تاريخ الاحتلال وحتى الفيضان الأخير الذي أغرق أحياء بغداد التي عاث فيها سكان المستوطنة الخضراء نهباً وفساداً**

وفي تسعينات القرن الماضي حدث الشيء نفسه فأمر الرئيس الراحل صدام حسين بحلول عاجلة، وراى البغداديون بأم أعينهم أمين بغداد والمديرين العاملين في الأمانة وكبار مسؤوليها يخوضون في المياه ويعملون معا مع عمال الأمانة لتصريف المياه بآية وسيلة.

أبدى مواطنون سخرية من حضور بعض المسؤولين والنواب إلى أماكن الغرق، والتصوير قربها، وشن ناشطون على مواقع التواصل الاجتماعي، حملة واسعة للسخرية من عمليات "الاستعراض" هذه، التي قام بها مسؤولون ونواب البرلمان، بعدما نزلوا إلى الشوارع التي غرقت نتيجة الإهمال وعمليات الفساد الإداري والمالي، وعذوها "دعاية انتخابية على حساب المعاناة المريعة للمواطنين".

في حديث مع الباحث العراقي عبدالعزيز الراوي، ذكر لي رواية عن فيضان بغداد سنة 1954، مستعرضا كيف كانت الحكومات السابقة تجند كل إمكانياتها لدرء مخاطر الفيضانات ومنع غرق العاصمة، فيما وقفت حكومة السيد مصطفى الكاظمي تتفرغ على غرق بغداد لأن الفساد أكل إمكانيات الدولة العراقية كلها وجعلها عاجزة عن مواجهة زخة مطر.

قال الراوي إن فيضان دجلة في ربيع العام 1954 كان أخطر التحديات التي واجهت الشعب والحكومة، يومئذ، وقد سخرت الحكومة قدراتها كلها لدرء الفيضان وإتقان العاصمة من الغرق، وفي شهر مارس عام 1954 سهرت بغداد إلى الصباح خوفا من



## العرب

أول صحيفة عربية صدرت في لندن  
1977 أسسها  
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة  
رئيس التحرير المسؤول

د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام  
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير

مختار الدبابة  
كرم نعمة  
منى المحروقي

مدير النشر  
علي قاسم

المدير الفني  
سعيدة يعقوبي

تصدر عن

Al-Arab Publishing House  
المكتب الرئيسي (لندن)  
The Quadrant  
177 - 179 Hammersmith Road  
London, W6 8BS, UK  
Tel: (+44) 20 7602 3999  
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان

Advertising Department  
Tel: +44 20 8742 9262  
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk  
editor@alarab.co.uk